الباب الثاني

عملية تعليم الاجتماعيات وتعلمها

- تعليم الاجتماعيات
- مناهج الاجتماعيات الحديثة
- برنامج الاجتماعيات الجيد
- مستقبل الاجتماعيات
- تنظيم التدريس حول اتخاذ القرارات

عملية تعليم الاجتماعيات وتعلمها

إن الارتباط بين التعليم والتعلم وثيق، وإن كانت الممارسة تشير إلى أن هناك فصلا بين ما يقوم به المدرس، وبين ما يجب على المتعلم أن يقوم به فى عملية التعلم، والفصل بين اعتبارات الإعداد المهنى للمعلم ومهامه، وبين كيفية استقبال الطالب لمحتوى مادة الاجتماعيات والاستجابة لها بصفة خاصة، والعلوم المختلفة بصفة عامة، هو أمر مصطنع، إن التربية ستستفيد كثيراً لو أصبح الارتباط بين الاثنين واضحا بارزا نحرص عليه.

لذلك سنبحث التعليم والتعلم معًا وإن كان من المسلم به أن كل عملية لها مشكلات وخصائص معينة يجب أن تفحص منفصلة عن غيرها.

ومن المفيد أن تتذكر دائمًا أن المدرس الذى ينظر إلى مهام الوظيفة بمعزل عن نمو التلاميذ وحاجاتهم، يتعذر عليه إلى حد كبير، أن يحقق المستويات أو المعايير المهنية العالية، ورغم أن المدرسين يواجهون عادة بحراً من الوجوه أمامهم كل يوم، فهم لا يمكنهم نسيان أن هؤلاء التلاميذ أفراد، ليسوا مجرد مجموعات أو أعداد على قوائم. إذ يجب أن يكون المدرس مدركًا لحقيقة أن هناك علاقة وثيقة بين المثير و طريقة تقديمه فى حجرة الدراسة، وبين العملية التى يستقبل بها المتعلم هذا المثير ويدمجه في عقله، ويستجيب له بشكل ظاهر أو خفى، فى الوقت ذاته أو فى المستقبل، إن عملية التعليم والتعلم خط متصل، يجب أن لا يوضع أو يفصل عن الأهداف التربوية التى يسعى المعلمون لتحقيقها فى تلاميذهم، إن المدرس الذى يتجاهل هذه العلاقة لا يؤدى مهمة التعليم، والتلميذ الذى لا يدرك هذه العملية لا يحقق مهمة التعلم.

وفيما يلى سنناقش موضوع مدرس الاجتماعيات ثم طالب الاجتماعيات، قبل فحص بعض الجوانب المهمة لهذه العلاقة بين التعليم والتعلم.

إن التميز فى الدراسة والتدريس ضرورة حتمية عند بذل الجهد لتحقيق الجودة والابتكار فى الاجتماعيات، فالمدرس الذى يستطيع إشعال الرغبة فى المعرفة، والذى يستطيع تشجيع الطالب على الشعور بأنه كان جزءاً من العملية الاجتماعية التاريخية أو السياسية أو الاقتصادية التى يدرسها، والذى يستطيع أن يبعث الحياة فى حجرة الدراسة من خلال المناقشات الحية، والذى يستطيع أن يدعم استخدام المهارات، ويستطيع أن يقيم نموذجًا للسلوك الديمقراطى، إنه هو الذى يسهم مساهمة بالغة القيمة فى إعداد الشباب وتحقيق أهداف التربية.

إعداد المعلمين

يتضمن إعداد المعلمين مصطلحات قبل الخدمة وفى أثناء الخدمة، وهى مصطلحات ليست مقبولة تمامًا؛ لأن التربية خط متصل، كذلك فإن لفظ الخدمة قد لا يتفق مع كرامة مهمة التربية أو مهمة التدريس. والأقسام التربوية في الكليات تخصص حاليًا جانبا من المنهج للاجتماعيات أكثر مما كان فى الماضى، رغم أن الانطباع هو أن التجديدات الحديثة فى الاجتماعيات لم تحظ بالاهتمام الواجب على مستوى التعليم الجامعى.

وإذا كان الجديد فى الاستراتيجيات والمواد التعليمية والمداخل للعلوم لها تأثير على المجرى الرئيسي للتربية، وجب أن يسرى فى نسيج المناهج والمدارس وأقسام التربية فى الكليات.

وتشير البحوث عن الخلفيات الثقافية، والاتجاهات، والمعرفة، وتدريب مدرسى الاجتماعيات نتائج باقية فعالة، وجب الاهتمام بإعدادهم قبل الخدمة وفى أثنائها، وكذلك اختيار مدرسى المستقبل فى ضوء المهام التى ستوكل إليهم. وفى عبارة أخرى فإن الآفاق الجديد فى الاجتماعيات تتطلب ليس فقط تطوير المحتوى والاستراتيجيات التدريسية، بل أيضًا جودة إعداد المعلمين، وكذلك بقية عناصر العملية التربوية، والمرجو أن يكون لإعداد المعلمين برامج أكثر قوة، من حيث البناء

والمحتوى و استراتيجيات التدريس، ويا حبذا لو شكلت لجان مشتركة من علماء العلوم الاجتماعية وأساتذة التربية للعمل معًا لتحقيق تلك الأهداف.

يوجد - لا شك - قدر كبير من برامج التدريب فى أثناء الخدمة لمدرسى الاجتماعيات، فورش العمل خلال السنة الدراسية، والمقررات الدراسية بعد الظهر وفى المساء، والبرامج الصيفية، وغيرها من البرامج المكثفة، كل ذلك يشهد على حقيقة أنه لا يستطيع المدرس أن يحصل على كل التربية التى يحتاج إليها بمجرد حصوله على درجة الليسانس، ومع ذلك فالمشاهد أن كثيراً من المدرسين يواصلون دراساتهم من أجل بعض متطلبات الوظيفة، على أن كثيراً من برامج التدريب فى أثناء الخدمة فى الاجتماعيات تبدو شيئًا يتصف بأنه رقعات تتضمن قليلاً من المعلومات الجديدة، كما لو كانت ستؤثر بفاعلية فى المدرس، ومن خلاله، فى التلميذ. إن برامج إعداد معلم الاجتماعيات هى أكسير الحياة لجودة العلوم الاجتماعية، إلا أن عملية الدمج نفسها تحتاج إلى انتباه مباشر وإصلاح.

وإذا كانت الآفاق الجديدة فى الاجتماعيات سيكون لها تأثير حقيقى على الشباب، وإذا كانت فكرة المنهج الحلزونى، والتحام الطالب بالمادة العلمية، واللعب، والواقعية، ،والعمل الإبداعى للعلماء الاجتماعيين، والمشروعات المتسعة بالنسبة لمناهج الاجتماعيات، سيكون لها أية قيمة، وجب أن توجه مباشرة لمدرس الفصل.

ويرى بعض المربين أن بناء المنهج سيكون قليل الأثر إذا لم يكن للتدريس نفسه بناؤه، إن الحاجة ماسة إلى الربط الوثيق بين ما يدور فى كليات التربية وما يجرى فى المدرسة.

ومن المفيد أن يشترك العلماء الاجتماعيين فى البرامج المستمرة لإعداد المعلمين، أو على الأقل أن يستفاد من كتاباتهم فهم يستطيعون الإسهام بفاعلية فى برامج إعداد معلمى الاجتماعيات.

إن برامج التربية المستمرة يمكن أن تمثل عبئًا على المدرسين وبخاصة هؤلاء الذين يعملون فى المدرسة الابتدائية، الذين يطلب منهم أن يكونوا أخصائيين فى مجالات

عديدة، ومن ناحية أخرى فإن برنامج التدريب فى أثناء الخدمة ضرورة لتضمين المناهج الجديدة فى كل علم أو مجموعة من العلوم، والاجتماعيات ليست استثناء من ذلك، فإذا كان مثل هذا البرنامج أساس بالنسبة للمنهج فى أية مدرسة، كان من الضرورى أن يشترك المدرسون اشتراكًا كاملاً فى وضع هذه البرامج، ويستفاد من الأخصائيين، والبحوث، وتقويم النتائج، لبعث حياة جديدة فى منهج الاجتماعيات.

تلميذ الاجتماعيات

إن الطلبة جميعًا يدرسون الاجتماعيات، لذلك فإن تلميذ الاجتماعيات لا يختلف عن غيره من التلاميذ، ولكن إلى جانب التعميمات الواضحة التى تربط عملية التعلم بالاجتماعيات، فهناك خاصيتان لطلبة الاجتماعيات أساسيتان لعملية التعليم والتعلم، ونمط الربط الاجتماعى بالعالم المحيط به، وكذلك المعرفة المكتسبة، والقيم، والاتجاهات، بالنسبة للمجالات التى تغطيها العلوم الاجتماعية، إضافة إلى الحقيقة التى لا تنكر أن الطالب يحضر معه إلى حجرة الدراسة الحقائق الاجتماعية لبيئته الواقعة خارج المدرسة وثقافتها، كل ذلك له تأثير مهم فيما يفعله برنامج الاجتماعيات أو لا يفعله، ولا يتسع المجال لتحليل واف للعلاقة بين كيف يتعلم التلاميذ، وما تستطيع العلوم الاجتماعية أن تقدمه فيما يتصل بعملية التعلم نفسها.

إن هناك الكثير الذى لا يعرف، و يحتاج أن يستكشف، إذا أردنا أن تكون عملية التعليم والتعلم فى الاجتماعيات عونًا كبيراً فى معاونة الطلبة للسعى نحو أهداف تربوية مرغوب فيها.

عودة إلى التنشئة الاجتماعية للتلميذ ومسألة الحقائق الاجتماعية، فقد أصبح من الواضح جداً أن السلوك السياسى، والاقتصادى والاجتماعى وحتى الإنسانى، للكبار، يوضع بدوره خلال السنوات الأولى للحياة.

ويرى بعض المربين أن الأطفال يبدأون فى تعلم شىء عن الحكومة والسياسة قبل التحاقهم بالمدارس، ويبدو أن سنوات التكوين فى السياسة تقع ما بين عمر ٣ سنوات وعمر ١٣ سنة، وأن الاتجاهات والقيم السياسية تصبح راسخة بعد سن ١٤ .

وفى المدرسة الثانوية يكتسب الشباب المعرفة عن الحكومة والسياسة، لكن هذه المعرفة لها تأثير قليل على القيم والاتجاهات السابق تكوينها لديهم.

إن تضمينات البحوث فى التنشئة الاجتماعية للشباب فى مجتمع مفتوح حر، هى فى إيجاز ما يلى: يستطيع المربون أن يضيفوا إلى المعرفة المتراكمة لدى الطلبة بمواصلة صعودهم فى السلم التعليمي؛ غير أنه بتقدمهم إلى إتمام الدراسة الثانوية وما بعدها فإن سعة عملية التربية الرسمية لتشكيل قيمهم واتجاهاتهم تنقص باستمرار.

وإذا كانت المدارس معنية حقيقة بالتربية من أجل المواطنة، ومعاونة التلاميذ على السعى نحو أهداف تربوية مرغوب فيها، فإن عليها أن تتنبه بشدة إلى سنوات المدرسة الابتدائية، أكثر من أى وقت مضى، ففى هذه السنوات المدرسية تكون التربية الوجدانية (القيم والاتجاهات) هى الأكثر أهمية.

وهناك حقيقة أخرى للحياة يجب أن نتعرف عليها ما دام الأمر يتعلق بالطلاب، وهى أن كل شاب ينشغل بأنماط سياسية واجتماعية واقتصادية وأخلاقية للتعامل داخل الجماعة فى حياته اليومية سواء حصل على تعليم فى هذه المجالات أو لم يحصل، إن الاجتماعيات تتعامل أو يجب أن تتعامل مع شئون الحياة.

ويتمثل مدى اهتمام منهج الاجتماعيات بواقع الحياة الاجتماعية للطالب، فى مدى تقبل الشباب لما تحاول عملية التعليم والتعلم عمله لهم فهى مسألة تمس جوهر التربية فى الاجتماعيات.

إن المربين يضعون الأهداف للطلبة، وهى أهداف يعتبرونها أساسية لمجتمع حديث ولأمن وخير الشباب جميعًا.

لكن الشباب قد لا يقبلون الأهداف التى وضعها الكبار، فللشباب ثقافتهم كما أن للكبار ثقافتهم، كما أن لهم واقعهم ومشكلاتهم، ،كما للكبار، إن البالغين يعتقدون أنهم يعرفون ما هو مفيد للأطفال، ويصوغون نظامًا تعليميًا ويقيمون أهدافًا، يرون أن الصغار يجب أن يلتزموا بها و يعملوا وفقها فى سلوكهم الظاهر والخفى. لكن كثيراً ما تكون الجوانب الاقتصادية والسياسية والتفاعل داخل الجماعة

وحقائق الحياة بالنسبة للصغار، لا تتفق مع القيم والأهداف الاجتماعية الكبرى للمجتمع والثقافة الأوسع، وهى التى يلتزم بها الكبار ويسعون نحوها ويعيشونها.

وفى إيجاز، فإن كل طلبة الاجتماعيات يحضرون إلى فصولهم الدراسية محملين بأنماط سلوكية مصطبغة بالحقائق الاجتماعية لثقافتهم الخاصة، إنهم يميلون إلى النظر لمسائل العلم الاجتماعى، كالسلطة والتعاون مع الناس مختلفى النشأة، فى إطار حقائق الحياة كما يرونها. وقد أظهرت الدراسات أن الفجوة كبيرة وعميقة بين القيم المتعلقة بالاجتماعيات، وتلك المكتسبة من الخبرة الشخصية.

وغالبا ما يحاول مدرسو الاجتماعيات أن ينقلوا إلى الشباب حقائق الحياة الاجتماعية دون التعامل مع الحقائق التى يعرفها الشباب جيدًا، التأكيد فى حجرة الدراسة على احترام الاختلاف النوعى والثقافى، وألا نتجنب التعامل فى نفس حجرة الدراسة مع المسائل والمشكلات الصعبة فى هذا المجال.

وفوق ذلك، فإن المدرسين يظلمون الطلبة لو تعاملوا مع العمليات السياسية والحياة الاقتصادية بشكل مثالى خالص، لو أن حقائق السياسة لم تدخل كنسيج فى المنهج لن يفهم الطلاب كيف تصدر القوانين من المجالس التشريعية، وما يعترى ذلك من أمور تشوبها المصالح الشخصية، ولهذا وجب أن تؤخذ حقائق الواقع فى الاعتبار فى منهج الاجتماعيات. إن عملية التعليم والتعلم يجب أن تبنى على حقيقة عالم الطالب مهما كان هذا العالم.

إن المدرسة والمعلم يجب عليهما بطبيعة الحال معاونة الشباب الذين يعيشون فى بيئات جافة، ويتحدثون لغة خشنة، أن يتعلموا الأنماط السلوكية الضرورية للنجاح فى المدرسة، والأمل أن المدرسين لن يتجاهلوا عالم الطلبة، وأن يعملوا على الوصل بين هذا العالم والأهداف التى تسعى التربية نحوها، وبقدر توثيق الصلة بين الواقع والمثالى يستطيع المدرسون خدمة الطلاب وأنفسهم.

إن ربط حقائق عالم الطالب بعملية التعليم والتعلم إضافة إلى الاستخدام الأمثل لنتائج التنشئة الاجتماعية للطفل - والأمران متداخلان معًا - أمور أساسية أو جوهرية فى بناء آفاق جديدة للاجتماعيات.

ولقد كتب الكثير عن الاستكشاف، والألعاب، والاستقصاء، والاستقراء، وحل المشكلات، وتمثيل الدور، كأساليب فنية لاشتراك التلميذ فى التعلم، هذه العمليات وغيرها جزء أساسى للمداخل الجديدة للاجتماعيات، وبالعودة إلى التعليم فى عصور سابقة يتضح أن هذه المداخل ليست جديدة تمامًا، ومع ذلك تبقى حقيقة أن الغالبية العظمى من المدرسين تلقى الدروس وتطالب الطلاب بالقراءة والحفظ، وتقويمهم يتم على هذا الأساس.

إن التعلم يتضمن أمورًا كثيرة ولا شك أن من بينها استقبال الرسائل عن طريق الحواس والتفكير فيها، والأخذ بما هو قيم ورفض غيره، والاستجابة من خلال مستويات السلوك الظاهر والخفى، وإذا تركنا جانبًا أنواع السلوك التى يوجه لها أو يجب أن يوجه لها فى عملية التعلم، فإنه من الواضح تمامًا أن الاستجابة للمثير الذى يقدمه المدرس أو المواد التعليمية تكون أكثر دوامًا وأهمية إذا كان للطالب دور يقوم به فى استقباله للمثير وتفاعله معه.

ولا شك أن هناك ظروفًا وأساليب عديدة تمكن التلاميذ من الاشتراك فى عملية التعليم والتعلم، تشمل الثقة فى النفس، ومفهوم الذات الإيجابى، والاستثارة فى التعلم، والشعور بالمشاركة مع المدرس فى العملية ذاتها؛ ومن ناحية الأهداف المرغوب فيها لتعلم الاجتماعيات، فإن الطالب يمكن أن يسهم بفاعلية فى تشجيع الشباب لاستخدام إمكاناتهم على التعلم، وأن يكونوا مواطنين بطرق عديدة. وسنعرض فيما يلى لبعض الطرق لتشجيع الطلاب على عملية التعلم، وهى طرق ليست بالضرورة جديدة، ولكنها لحسن الحظ متضمنة فى كثير من البحوث وبرامج الاجتماعيات، ومن هذه الطرق الاستقراء والاستنباط والاستكشاف والاستقصاء والألعاب وحل المشكلات، وسنعرض لها فى إيجاز، أما تفصيلها فيكون فى الباب القادم.

ويعرف (Garrepy) عملية الاستقصاء بأنها: "الطريقة التى يحاول بها الطالب منفردًا أو بالاشتراك مع غيره، حل المشكلات وتنمية مفاهيم ومهارات، بالملاحظة،

وتحديد المشكلة بشكل قابل للحل، ووضع الفروض، وتجميع المادة العلمية، وانتقاء وتسجيل المادة، واختبار الفروض واستخلاص النتائج أو التعميمات بمعاونة المدرسين.

إن ذلك يفرض التزامات كثيرة على الطالب والمدارس، والمرجو أن المدرس يوفر للطلبة معلومات مبينة على الحقائق، فجمع المعلومات عامل جوهرى، وهذا النمط من الاستكشاف أو الاستقصاء لا يمكن أن يترك كله للطالب، وأخيراً فإن الطالب هو الذى يستقصى ويكتشف ويشترك ويتعلم.

كذلك فإن تمثيل المشكلات الاجتماعية والتاريخية والسياسية وقضاياها، عن طريق تمثيل ألعاب حقيقية، هى طريقة أخرى لاشتراك الطالب فى عملية التعليم والتعلم، وهى شائعة فى مشروعات الاجتماعيات.

مناهج الاجتماعيات الحديثة

إن وضع المشكلات أمام الطلبة وتشجيعهم على وضع حلول لها، يتضمن عناصر جيدة فى عملية التعليم والتعلم، فالطلبة جميعًا يواجهون مشكلات فى حياتهم اليومية، ويحاولون وضع حلول لها بطريقة أو بأخرى، والمشكلة موضوع الدراسة يجب أن تكون واقعية مفتوحة النهاية وتشكل تحديًا، كما يجب على المدرس ألا يقدم الحل، ويترك لهم البحث عن إجابة ذات معنى لهم.

إن كل الطرق السابقة التى تشرك التلميذ فى عملية التعليم والتعلم لها قيمة كبيرة، طالما لا ننسى أن التلاميذ يحتاجون أيضًا إلى قدر كبير من المحتوى، وهم لا يستطيعون توفير ذلك بمفردهم، وإضافة إلى ذلك فهناك إجراءات ثبتت صلاحيتها لإشراك الطلبة، مثل تمثيل الأدوار والتنافس الاجتماعى فى الفصل وأنواع كثيرة من المشروعات، التى يمكن أن توكل إلى الطلبة كأفراد أو جماعات.

كل ذلك يشير إلى الحاجة إلى «عملية» فى عملية التعليم والتعلم، إن الاجتماعيات يجب أن تكون مفتوحة النهاية، وأن تنقل إلى الطالب مفهوم أن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلاقات بين أفراد الجماعة ليست أبدًا طرقًا مسدودة، وأن هناك عملية مستمرة تربط بين الحاضر والمستقبل.

إن اشتراك الطالب فى عملية التعلم لجوانب الحياة التى تهتم بها الاجتماعيات هى من بين التطورات المثيرة فى الآفاق الجديدة للاجتماعيات.

المنهج وتحدى التغيير

فى الصفحات التالية نعرض للعناصر الأساسية لمنهج الاجتماعيات ونراجعها، بل ونقترح خصائص أساسية نرى أنه يجب أن تكون ماثلة فى أذهان المربين خلال عملية تغيير المنهج، ونقرر أهمية المدرس وحاجات المدرسة فى الاستجابة لتحديات التغيير. فإلى جانب وجود خطوط توجيهية للجان المنهج المختلفة، فإنه يجب على أعضاء اللجان أن يحافظوا على أهداف معينة دائمًا فى أذهانهم للاجتماعيات.

ما المعايير الممكنة التى بها يستطيع المعنيون بمناهج الاجتماعيات فحص البرامج القائمة اليوم، وتقرير الإضافات المرغوب فيها للغد، على أمل أن الواقع والمثال يتحدان بإحكام؟ لقد كتب الكثير لحفز المناقشات، ولزيادة فيض الأفكار بين أعضاء لجان المنهج أكثر من تصميم خريطة محددة.

وقد لا توافق بعض اللجان على بعض البنود المقترحة، ولذا فإن لها أن تستبعد مثل هذه البنود التى لا تناسب متطلبات المجتمع ورغباته، وأن تعظم من الخصائص التى لم نعطها ما ترى أنها تستحقه، وكذلك إضافة نقاط نكون قد أغفلناها.

تصميم المنهج

إن تصميم المنهج هو نموذج أو تمثيل يلخص فى كلمات أو صور جوهر مجال للبحث، إنه بناء فرضى يتضمن كثيراً من المكونات التى يجب أن تتوفر فى برنامج تربوى أو مقرر دراسى، وإنه عملية تحمل فلسفات، وأهداف، ونظريات، وافتراضات، ومعطيات معرفية، ووجدانية، وعمليات، ونتائج، وتحاليل، ومقارنات. ومدرسو الاجتماعيات فى الخارج ينفقون ساعات من وقتهم لتطوير المنهج المحلى، ويندر أن يستجيبوا لتصميم جاهز للمنهج، أنهم يستطيعون أن يكشفوا ويأخذوا فى اعتبارهم، ويستخدموا، ويعدلوا، بعض الأفكار نقلاً عن مدارس أو إدارات تعليمية أخرى، لكنهم فى معظم الأحوال يجب أن يفكروا من خلال الخصائص المنطبقة على

مدارسهم ويبنون عملية المنهج من أسفل إلى أعلى، ولكما أعطوا وقتًا أطول فى تحليل ما يسعون إلى تحقيقه، يقل احتمال أن ينتهوا إلى نموذج لا يحقق طموحاتهم.

الخصائص الأساسية لمنهج جيد فى الاجتماعيات

توجد خصائص أساسية لمنهج جيد للاجتماعيات، هذه النقاط السبع يمكن أن تنقص إلى عدد أقل، بتركيزها أو تكثيفها فى البناء، كما يمكن أن يزداد عددها إذا قسمت إلى فروع، والمتبع أن عدد النقاط ليس مهمًا من حيث الترتيب طالما أنها صادقة وهى:

١- يجب أن يعكس منهج الاجتماعيات طبيعة وحاجات المجتمع الديمقراطى المنشود والعالم الذى سيعيش فيه الأطفال والشباب.

٢- منهج الاجتماعيات يجب أن يعنى بالجانبين العام والخاص من حيث الحاجات، ومراحل النمو، والتطور، والاهتمامات والطموحات، وقدرات التلاميذ.

٣- يحتاج منهج الاجتماعيات أن يكون شديد الاهتمام بالأغراض، والنظريات، والاكتشافات، وجوانب الاستبصار، والأفكار الرئيسة، والطرق والأدوات، ومواد العلوم الاجتماعية بصفة عامة، والارتباطات المتنوعة بين اثنين أو أكثر من علوم اجتماعية معينة، والعلوم الأكاديمية المنفردة التى تدخل ضمن دائرة العلم الاجتماعى.

٤ - يجب أن يستند منهج الاجتماعيات إلى معايير صلبة لاختيار المحتوى، بحيث يساعد على النمو العقلى والاجتماعى والانفعالى والجمالى.

٥- يجب على منهج الاجتماعيات أن يحقق اتزانًا فى تنمية استخدام جوانب الفهم، والمهارات، والاتجاهات، وألوان التذوق.

هو اتزان بين العملية والمادة والنتائج والمداخل، وبين المعارف والوجدان.

٦- يجب أن يكون بناء منهج الاجتماعيات منظمًا، وقابلاً فى الوقت نفسه للتوسع.

٧- يجب أن يشكل منهج الاجتماعيات حول مجموعة من الغايات والأهداف حتمية، ومتناسقة، وثابتة، بينما يترك مساحة لأساليب ووسائل متعددة تناسب تحقيق هذه الغايات.

وهناك اعتبارات أساسية عند مراجعة منهج الاجتماعيات بالإشارة إلى أن الهدف النهائى والعريض للتربية فى الاجتماعيات هو تنمية السلوك الاجتماعى المدنى والشخصى. فنحن على اتفاق تام مع الأهداف الموضوعة للآفاق الجديدة للاجتماعيات، ومن الأهمية العظمى أن نهتم بمراجعة الاجتماعيات بشكل كبير بوسائل معينة لتقدم الطلبة نحو الأهداف المرغوبة.

إن تركيزنا على حاجات الطلبة يجب أن يلقى عناية بالغة، هذا إلى جانب التأكيد على أن التغيرات فى منهج الاجتماعيات يجب أن تعنى بالمحتوى المطور للاجتماعيات.

إن الاجتماعيات هى المادة الدراسية المعنية بالعلاقات الإنسانية، ويشتق المحتوى أساسًا من العلوم الأكاديمية فى الاقتصاد والجغرافيا والعلم السياسى والاجتماع وعلم الإنسان وعلم النفس، ومصطلح الاجتماعيات لا يتضمن شكلاً معينًا لتنظيم منهجى، إنه قابل للتطبيق لبرنامج فى المدرسة الابتدائية والثانوية، وفيه يشتق كل مقرر فى أغلبه من علم مفرد منفصل إلى منهج يرتبط فيه كل مواد المقررات لعديد من العلوم، أو لبرنامج كلى شامل يمهد لدراسة مواد دراسية منفصلة أو لمقررات مندمجة.

أهداف البرنامج

إن أهداف الاجتماعيات تؤكد على تطبيق التفكير العقلانى عند النظر فى المشكلات الاجتماعية، واكتساب التلاميذ للمعرفة والمهارات الأساسية للفكر العقلانى، لكن الهدف النهائى العام للاجتماعيات هو تنمية السلوك المدنى

الاجتماعى، والشخصية، ولن يتحقق مجتمع راق إلا إذا سلك أعضاؤه سلوكًا يحقق مزيدًا من النمو. وفى المجتمعات التسلطية توضع قيمة كبرى على الطاعة العمياء للقيادة، وعلى التطابق فى الفكر والعمل، وتختلف عن ذلك كثيراً الأنماط السلوكية الجوهرية فى المحافظة على مجتمع ديمقراطى وتنميته.

ومن بين أنماط السلوك الديمقراطى التى نحتاج إليها ليزدهر المجتمع الديمقراطى ما يلى:

١- توفير المعرفة عن القضايا التى تؤثر فى المجتمع، وربط المبادئ والمعرفة المشتقة من العلوم الاجتماعية مع دراسة المشكلات المعاصرة.

٢- استخدام وسائل ديمقراطية للحصول على الموافقة، وبلوغ الحلول واتخاذ إجراء جماعى لمواجهة المشكلات الاجتماعية.

٣- تحمل المسئولية الفردية لتنفيذ القرارات الجماعية وتقبل ما يترتب على العمل الجماعى.

٤ - الدفاع عن الحقوق والحرية الدستورية للنفس وللآخرين.

٥- احترام القانون والخضوع له بصرف النظر عن المشاعر الشخصية، واستخدام الوسائل القانونية لتغيير القانون الذى يتضح عدم سلامته.

٦- مساعدة الأشخاص والمنظمات النشطة لتحسين المجتمع بأعمال مرغوب فيها.

٧- تمحيص أعمال الموظفين العموميين.

٨- الاشتراك فى الانتخابات على كافة المستويات وإعداد النفس للانتخاب الذكى.

٩- رفض الامتيازات الخاصة عندما تتعارض مع المصلحة العامة.

١٠- الاستعداد والرغبة فى القيام بخدمة عامة، والتفانى فى ذلك عند الطوارئ.

١١- الانشغال المستمر بمراجعة القيم الشخصية، وكذلك النظرية القيمية للأمة.

إن سلوك الشخص يعكس عادة قيمه، ومثله، ومعتقداته، واتجاهاته، ومن بين القيم التى يجب أن يدعمها تعليم الاجتماعيات كأساس لأنماط السلوك المطلوب فى المجتمع الديمقراطى، ما يلى:

١- الإيمان بقيمة كل فرد، وأن يقيم الشخص على أساس خصائصه هو.

٢- الإيمان أن كل الأفراد يجب أن يتمتعوا بحقوق وحريات متساوية ويصاحبها مسئوليات.

٣- الإيمان بأن كل الأفراد يجب أن يتمتعوا بالحرية وتكافؤ الفرص للتنمية حسب رغبتهم وفى ضوء طاقاتهم، والمصلحة العامة.

٤- الإيمان بأن حقوق الفرد والجماعة يجب أن تمارس بطريقة لا تعوق حقوق الآخرين أو تهدد المصلحة العامة أو الأمن القومى.

٥- الاعتقاد أن المواطنين يجب أن يكونوا راغبين أن يعملوا على أساس الأحكام العامة ولو تعارضت مع المصلحة الشخصية.

٦- الإيمان بأن الحرية فى الاستقصاء، والتعبير، والمناقشة، تقدم أحسن طريقة لحل القضايا، وأن رأى الأغلبية هو الذى يتحكم، وأن حقوق الأقلية وآراءهم يجب أن تحترم وتكون موضع حماية.

٧- الإيمان بأن الحكومة يجب أن تستند إلى القانون المعمول به، وليس إلى الحكام أنفسهم، وأن الحكومة مسئولة عن ترقية الصالح العام.

٨- الإيمان بأن الناس قادرون على حكم أنفسهم أكثر من أى شخص أو مجموعة تعين نفسها حكامًا، وأن القوة السياسية هى حق الناس، وتأتى منهم، وأن للناس الحق بوسائل قانونية أن يغيروا حكومتهم.

٩- الإيمان بأن المنافسة والتعاون أساس للعملية الديمقراطية ولخير الأمة.

١٠- الإيمان بالحرية الدينية.

١١- الإيمان بأن التغيرات فى العلاقات بين الناس وحل المشكلات بينهم يجب أن تتم بوسائل سلمية وأن الأمن الجماعى يمكن تحقيقه عن طريق مجالس سياسية.

١٢- الإيمان بضرورة السعى لتحقيق العدالة والسلام لكل الشعوب.

إن سلوك الإنسان يتأثر بفهمه للمعرفة ذات الصلة بمجتمعه وبالقضايا التى يبحثها وبالقدرة على استخدام تلك المعرفة بشكل فعال. وتبعًا لذلك، فإن المعرفة التى يشتمل عليها برنامج الاجتماعيات سترتبط بتعميمات مهمة عن العلاقات الإنسانية، والمؤسسات والمشكلات. ويلزم معاونة الطلبة على استخدام الحقائق المعينة التى يدرسونها لتثبيت أو بناء تعميمات مهمة، وخلال ذلك يكون التعامل مع الطلبة عند المستوى المناسب لنضجهم باستخدام طرق الاستقصاء التى يستخدمها علماء الاجتماع فى بحثهم عن الحقيقة.

ولاستخدام المعرفة بفاعلية يجب على الطالب أن ينمى مهارات وقدرات متنوعة، وللحصول على المعرفة يحتاج الطالب إلى مهارات تحديد مكانها، وتقويم مصادر المعلومات، ومهارات الملاحظة والقراءة والاستماع، ولكى تصبح المعرفة نافعة اجتماعيًا يجب أن يكون الفرد قادرًا على التفكير التأملى فى المادة والاستنتاجات المشتقة منها، وأن يكون أيضًا قادرًا على التعبير عن وجهات نظره شفويًا وكتابة، وأن يكون لديه الرغبة والقدرة على المشاركة فى الأعمال المتضمنة للجماعة.

إن مساعدة الطلبة على تنمية هذه المهارات والقدرات هو هدف لبرنامج الاجتماعيات. إن المعتقدات، والمعرفة، والمهارات وأنواع السلوك التى تكون أهداف الاجتماعيات، يحتاج إليها كل أعضاء المجتمع. ولتحقيق هذه الأهداف، يحتاج كل التلاميذ إلى برنامج تعليمى شامل فى الاجتماعيات فى أثناء تعلمهم المدرسى. بالإضافة إلى هذا البرنامج يجب أن تتضمن مواد دراسية اختيارية فى الاجتماعيات لتحقيق هدف آخر مهم للبرنامج، هذا الهدف هو تشجيع الشباب لمتابعة وتنمية اهتماماتهم الخاصة واستعداداتهم الموروثة فى مجالات العلم الاجتماعى.

وبينما تدريب العلماء الاجتماعيين ليس هدفًا لبرنامج الاجتماعيات فى المدارس، فإن تشجيع الطلبة كأفراد لاستكشاف اهتماماتهم وقدراتهم الكامنة التى قد تقود لمستقبل مهنى فى أحد العلوم الاجتماعية هو أحد أهدافها.

مصادر منهج الاجتماعيات

إن المصادر الأساسية لتخطيط هذا المنهج تتمثل فى ثلاثة أمور:

١ - العلوم الأكاديمية ذات الصلة.

٢- خصائص المتعلمين.

٣- خصائص المجتمع وحاجاته.

كل من هذه الأمور الثلاثة يجب أن يؤخذ فى الاعتبار عند بناء منهج مطور للاجتماعيات.

العلوم الأكاديمية

إن العلوم الأكاديمية المرتبطة بتخطيط منهج الاجتماعيات هى بطبيعة الحال العلوم الاجتماعية والسلوكية. وللاستفادة من العلوم الاجتماعية فى بناء منهج برنامج فعال فى الاجتماعيات ينبغى على مخططى المنهج اليومى أن ينتبهوا إلى نقاط ثلاث:

أن تلاميذ العلوم الاجتماعية والسلوكية يمكن أن يسهموا إسهامات جوهرية فى برنامج وظيفى فى الاجتماعيات للعصر الحالى، ويجب الاستفادة من كل منها لبناء هذا المنهج.

إنه منذ زمن طويل يتمثل المحتوى المسيطر على الاجتماعيات فى مواد التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية، إلى حد استبعاد بعض العلوم الأكاديمية الأخرى التى تتعامل مع المشكلات والأمور المجتمعية.

وعلى مخططى المنهج أن يستعينوا بالمحتوى من كل من هذه العلوم التى تعين

على فهم الطالب لعالم اليوم، ويجب أن يتضمن ما توصل إليه الأكاديميون من نتائج وتفسيرات فى مختلف العلوم، ورغم وضوح هذا المعيار لاختيار المحتوى، فإنه كثيرًا ما أهمل ولم يطبق. ولكى يطبق لا بد أن يعمل الأكاديميون والتربويون معًا عند تخطيط المنهج.

إن طريقة الاستقصاء وأدوات البحث فى العلوم الاجتماعية والسلوكية هى جزء متكامل مع المحتوى لكل علم، ويجب أن يتعرف تلاميذ المدرسة حسب مستوى نضجهم - على الأدوات والأساليب الأساسية التى يستخدمها العلماء الاجتماعيون لجمع المادة والخروج منها بالاستنتاجات، حينذاك نعين التلاميذ على فهم أن الحقائق التى يدرسونها تمثل أفضل ما توصل إليه العلماء من استنتاجات من المادة المتاحة، وأن المادة الجديدة قد تغير من الاستنتاجات المقبولة الآن.

وباستخدام التلاميذ أشكالاً بسيطة لهذه الأدوات والطرق فيما يقومون به من دراسة وسوف يستمتعون بالاستكشاف فى التعلم. كذلك فإنهم سيكتسبون مزيداً من الاستبصار بالطرق ذاتها، ويتفهمون المحددات القائمة وكذلك القيمة التنبؤية للمادة الاجتماعية، أى أن المتعلمين سيصبحون مستهلكين مستنيرين للمادة الاجتماعية.

لقد كان للبحث المنظم فى النمو الإنسانى، وعلم نفس التعلم، تأثيره على التخطيط الفعال للمنهج، فالقرارات المتعلقة بأسئلة مثل مستوى العمر الذى تقدم فيه هذه الأفكار، ومدى الاتساع والعمق للمحتوى الذى يدرس عند مختلف الأعمار، والتتابع الأكثر فاعلية لتنمية المفاهيم والقيم والمهارات، يجب أن تقرر فى ضوء المتاح من نتائج البحوث.

وقد ظهر تأثير نتائج البحوث على برامج الاجتماعيات فى المدارس الأمريكية، ومثال على ذلك فقد اختفى تقريبًا التعلم بالتذكر، وفى كثير من فصول الدراسة يشجع الطلبة على استخدام العديد من المواد والمداخل لتنمية مجموعة من المفاهيم والمهارات الأساسية.

إن هؤلاء الذين يخططون لتنمية برامج الاجتماعيات يجب أن يأخذوا فى اعتبارهم حاجة المتعلم لفهم العلاقات بين الحقائق المعينة التى يدرسها، وصياغة بنية مفاهيمية تستخدم كأدوات لمزيد من التعلم، وللتقدم فى اتجاه تنظيم متزايد للمعرفة التى يكتسبها.

والمخطط لتتابع التعلم يجب أن يأخذ فى الاعتبار اختلاف القدرات بين المتعلمين، وتأثير خلفياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك الاختلاف فى أساليب التعلم والدافعية بين تلميذ وآخر، وكذلك فإن توفير مدى واسع من المواد التعليمية بما فى ذلك الوسائط الحديثة والخبرات التعليمية هو مسألة جوهرية فى التخطيط للمنهج الفعال، كما هو الحال أيضًا بالنسبة لاختيار المحتوى المناسب.

إن الجوانب غير المعرفية فى التعلم، والنمو المتراكم للمهارات، والقيم، يجب الاهتمام بها إلى جانب التعلم المعرفى.

برنامج الاجتماعيات الجيد

من بين العوامل فى المجتمع المعاصر ذات التضمينات المهمة لمنهج الاجتماعيات يمكن التعرف على ستة عوامل مهمة:

١- الثورة العلمية والتكنولوجية المستمرة

وقد أخذنا أنماطًا حديثة فى كل مناحى الحياة، والتى ساعدت على حل بعض المشكلات، ولكنها أفرزت مشكلات جديدة.

٢- تقارب العالم عن طريق النقل والاتصالات الحديثة

يجعل حياة الفرد تتهدد بعوامل بعيدة عن سيطرته، وتتعقد فيه العلاقات الدولية.

٣- التزايد السكانى العالمى

وما يصاحبه من مشكلات الانتقال إلى الحضر، والحاجة إلى زيادة الإنتاج للمحافظة على مستويات المعيشة وتحسينها.

٤- تغلغل نفوذ السياسة العامة فى كل أوجه الحياة

حيث أصبحت المشكلات العامة تتزايد تعقيداً، وتوسع دور الحكومة فى جهود التعامل معها.

٥- التغير فى أنماط البناء الاقتصادى

إلى المؤسسات الضخمة التى لم تعد شخصية والتى فيها يعتمد الفرد فى تزايد على الحكومة التى تعمل كوكيل اقتصادى له.

٦- الصراع بين القيم والأخلاقيات

الذى يميز الحياة فى الأمة والعالم سريع التغير والفردية والتطابق والمثالية والمادية والديموقراطية والتسلطية.

إن برنامج الاجتماعيات الفعال يجب أن يعرف الشباب بالقوى التى تحدث التغير فى مجتمعه؛ والقضايا الناشئة عن ذلك، والتى يجب أن يتعامل معها المجتمع.

معايير برنامج الاجتماعيات الجيد

١- تشخيص وتأكيد القيم والمثل التى تساعد الأمم على النهوض، مع تنمية الوطنية النشطة المستندة إلى العلم.

٢- النظرة العالمية التى تضم فهم وتقدير الحضارات الأخرى، والحاجة إلى دراسة أوجه التشابه والاختلاف، والمراحل المختلفة للتطور السياسى والنمو الاقتصادى.

٣- بعث الواقعية والحياة فى دراسة تاريخنا ومشكلاتنا، مع العناية بالقضايا التى لم تحل والتى تتطلب تنمية الرأى العام المستنير.

٤- توفير فرص مستمرة للتطبيقات المتطورة للمهارات فى التفكير الناقد.

إن الدراسة الفعالة الجدلية تتطلب تفكيراً منطقيًا وعقليًا وتنمية مهارات القراءة وجمع المعلومات وتنظيمها وعرضها ومناقشتها، وهى تنمو خلال السنوات المدرسية

المتعاقبة، والاهتمام المتزايد بتقويم المصادر وصياغة استنتاجات صحيحة أمور جوهرية.

ويجب أن نوفر الفرص للأطفال منذ الصغر للتعرف على المصادر الأصلية وتقويمها، وخلال الصفوف الدراسية الأعلى، يجب أن يكونوا على علم بالاختلافات فى الاستنتاجات والتفسيرات التى يقدمها الباحثون، وطبيعة الجهود المسئولة وغير المسئولة لتطوير الرأى العام والتأثير فيه.

وللاستفادة من نتائج البحوث وجب على برنامج الاجتماعيات الجيد أن يراعى الآتى:

١- العناية بالمفهوم الجديد والتفسيرات الجديدة فى العلوم الراسخة كالتاريخ والجغرافيا والعلوم السياسية والاقتصاد، والنتائج الحديثة للعلوم السلوكية الأحدث (علم الإنسان، الاجتماع، علم النفس) ودراسات العلوم البيئية.

٢- عند وضع المقررات والوحدات يجب الاختيار بعناية، مع تركيز على فهم المجتمع المعاصر، والمهارات المطلوبة لتحقيق هذا الفهم، مما يتطلب الإخلاص لنتائج البحوث، والارتباط بالمشكلات المعاصرة للمجتمع، ومناسبتها لنضج المتعلمين وقدراتهم.

واعتبار آخر جدير بالاهتمام عند الاختيار، هو الحاجة إلى الاهتمام بأدوات وطرق الاستقصاء فى الاجتماعيات، بما يناسب مستوى نضج المتعلمين.

وعند تطبيق المعرفة المتاحة من عملية التعليم والتعلم، يجب أن يهتم البرنامج الجيد للاجتماعيات بما يأتى:

١) يقف على مستويات نضج المتعلمين الذى ينمو من سنة لأخرى، ولكنه يتنوع كثيراً بين أفراد المجموعة السنية الواحدة، إن تعليم الاجتماعيات يستند إلى الخبرات المباشرة والمعرفة السابق للمتعلمين اكتسابها عند تقديم المادة العلمية الجديدة، وذلك من خلال الخبرات البديلة، إن ما يمارس فى الصفوف الابتدائية الأولى، بالابتداء بالبيئة التى يعيش فيها التلاميذ وخبراتهم فيها،

كأساس للانتقال إلى بيئات وطرق للمعيشة جديدة عليهم، أمر صحيح، وإن كانت بعض البرامج تتسم بصفة الجمود، لا تقدر ما حققه التلاميذ من خبرات سابقة.

٢) التكيف مع الأساليب المختلفة للمتعلم والقدرات والمواهب والمهارات والاهتمامات وخلفيات المتعلمين، باستخدام مدى واسع من الخبرات التعليمية والمواد والوسائط المناسبة.

٣) ضمان الاستمرار والتوافق خلال السنوات الدراسية المختلفة، مع تدعيم المكتسبات التى حققها التلميذ من خلال اختياراته، ويجب أن يكون البرنامج مترابطًا يساعد على النمو المتراكم للمفاهيم والتعميمات والمهارات، ويجب أن يقوم باستمرار لضمان تحقيق الأهداف المنشودة.

٤) الإيمان بأن التعلم لا يتوقف بانتهاء التعلم المدرسى، ويقدم الحافز على التعلم وتنمية المهارات، ومعرفة المصادر التى يحتاج إليها الأفراد لمواصلة التعلم مستقلين.

٥) إن حيوية تعليم الاجتماعيات واستجاباتها للحاجات المستمرة المتغيرة، تتطلب المرونة فى تكييف التعليم مع المواقف التعليمية، والتجديد، والتجريب، فالتجريب والتجديد يتضمن التخطيط والتقويم المسئول للنتائج.

مستقبل الاجتماعيات

يشير العنوان إلى أن التغيير فى الاجتماعيات قادم.

ما الظروف التى توجب التغيير؟ وما التغيير المطلوب؟

إن معدل التغير المتسارع فى النمو فى عالم اليوم يجعل كثيرًا من النظريات والحقائق التى كانت مفيدة فى وقت قريب، يجعلها غير مقبولة أو مفيدة، ونتيجة لذلك فإن المنهج بصفة عامة هو فى حالة تغير.

إن الاجتماعيات تواجه بأحوال معينة تتطلب بإلحاح أن تتخذ معايير ومقاييس

إيجابية وتصورية لجعل هذه المواد مستجيبة للطالب ولإمكانات الوقت، هذه الأحوال تتضمن التغير الاجتماعى والاقتصادى، وهو نوع وحجم لم يكن للعالم خبرة به فيما مضى، توسع غير مسبوق فى الأزمنة الحديثة فى حجم المعلومات التى يعتمد عليها، ووثيق الارتباط بهذا، قفزة بعيدة المدى فى الأسس النظرية فى العلوم الاجتماعية العديدة (بما فى ذلك التاريخ) ذلك التاريخ يعتمد عليها تعلم الاجتماعيات، معرفة ونظريات جديدة عن التعلم وكيفية تطبيقها، وضخامة مهمة التربية فى عالم اليوم المتغير المتحرك.

وفى الصفحات التالية نحاول إبراز التضمينات لكل هذه الظروف فى الاجتماعيات.

اختبار الارتباط فى منهج الاجتماعيات

فى عالم يتم فيه التغير باستمرار، يجب أن تخضع برامج الاجتماعيات دائما للفحص للتأكد من صلته الوثيقة بالموقف القائم، إن سرعة التغير اليوم تقلل من احتمال التعلم من التاريخ، وطبيعة التغير تقلل من اعتماد الاقتصاد والاجتماعيات على عصر ما قبل العلم.

والنقلة الأساسية فى المجتمع العالمى من اقتصاد الندرة إلى اقتصاد الوفرة على أساس الثورة العالمية والتكنولوجية هو الآن فى الطريق، إضافة إلى اضمحلال السيطرة على شئون البشر، هما حقيقتان لايمكن التغاضى عنهما، ويجب على مخططى منهج الاجتماعيات حاليًا أن يأخذوه فى حسبانهم، لقد أصبحنا نواجه مشكلات وإمكانات لم يواجهها الإنسان من قبل.

ولا يستطيع واحد من العلوم الاجتماعية بمفرده أن يعلم الطالب ويحقق فيه الأهداف المنشودة من دراسة الاجتماعيات، ولذا يجب أن يقدم برنامج الاجتماعيات توازنًا بين العلوم الاجتماعية المختلفة.

الانفجار السكانى والمعرفى

إن الانفجار السكانى فى بعض المجتمعات إذا لم يتوقف يهدد فى مدى قرن تقريبًا بألا يترك مكانًا على الأرض لكل رجل وامرأة وطفل.

الأمر الذى يخلق مزيدًا من المشكلات التى تتعلق بتوفير الغذاء والمسكن والصحة والتعليم وغير ذلك من متطلبات الحياة.

ومع الانفجار السكانى يزداد الذين يعطون وقتًا أكثر للبحوث عما كان يحدث فى الماضى، والمزيد من البحوث يعنى مزيدًا من المعرفة، والنظريات التى شرحت الأحداث الإنسانية لعدد من السنين لم تعد تصمد الآن. وفوق هذا فالباحثون يمتلكون الآن طرقًا جديدة لجمع المادة واستخدام الأجهزة الحديثة لمعالجتها.

وفوق ذلك فإنه مع زيادة المعرفة تصبح العلاقات بين مجالات المعرفة أكثر وضوحًا، وتزداد فائدة المعرفة فى التعامل مع مشكلات الحياة، فالحاجة إلى الإلمام بالعلوم الاجتماعية المختلفة ضرورى لكل من علمائها.

ثم إن العلوم الاجتماعية نفسها التى تستند إليها الاجتماعيات تمر بتغيرات كثيرة. وبالتقدم العلمى، وبخاصة نتيجة تأثر العلوم الاجتماعية ببعضها البعض، فإن النظريات القديمة التى كانت تستند إليها العلوم الاجتماعية قد عدلت أو صرف النظر عنها. وظهرت أفكار جديدة لبناء محتوى هذه المواد الدراسية، ولا ننتظر أن تتوقف مراجعة محتوى الاجتماعيات فى المستقبل فى ضوء الظروف والحقائق الجديدة، إنه من الضرورى أن تراجع النظريات التى تشرح سلوك الإنسان.

ما الذى يمكن عمله فى الاجتماعيات لمواجهة الطبيعة المتغيرة، والتراكم المعرفى الصحيح، وغير الصحيح، فى العلوم الاجتماعية؟

هناك طريقان، أحدهما هو تبنى اتجاه ذكى بالنسبة للمعرفة، والآخر يتضمن طريقة تنظيم المعلومات حتى يمكن استخدامها فى تشكيل المعتقدات، التى يترتب عليها الفعل والسلوك.

لايمكن أن يعتبر أحدنا أن الاستنتاجات التى توصل إليها العلماء الاجتماعيون حاليًا هى الحقيقة التى ستبقى كذلك على الدوام، وبدلاً من ذلك فهى أفضل الاحتمالات قربًا من الحقيقة، وفى ضوء معارفنا الحالية، طبعًا هناك حقائق لا جدال فيها، مثل توزيع الأحداث التى وقعت فعلا، لكن هذا ليس المحتوى المهم فى العلوم الاجتماعية، فالوقوف عند هذه الحقائق فقط لا يفيد شيئًا، لكن، عندما يبدأ التعميم من الحقائق المنعزلة، لشرح أسباب وقوع الأحداث، أو لإعطاء قيمة معينة للسلوك، والحكم عليه بأنه أفضل أو أسوأ، هو ما يكشف عن جوهر العلوم الاجتماعية. وهنا بالتحديد يكون عدم تأكدنا من الحقيقة.

ويشير هذا إلى ضرورة التنمية المستمرة للاستنتاجات المرتبطة بالمجتمع الإنسانى، فى ضوء أفضل الأدلة وأحدثها، والبحث دائمًا عن أفضل الممكن، وليس بالضرورة الإمكانية والاحتمال الوحيد، كإجابات عن أسئلتنا.

وفى هذا الصدد فإن العلماء الاجتماعيين ليسوا مختلفين عن علماء الطبيعة الذين لا محل للإقلال من قدرهم، وأنهم قد قبلوا بعض النظريات عن العالم المادى؛ لأنهم يعتبرون أن المعرفة الحالية مؤقتة وليست نهائية، وتفتح الباب دائمًا أمام البحث والاستقصاء، قد يكون هذا هو المرشد للاتجاه الصحيح نحو العلوم الاجتماعية أيضًا.

ويجب أن نتخلص من الفكرة الخاطئة، بأن محتوى الاجتماعيات يوضع فى ضوء حقائق مهمة ومحددة ونهائية يتعلمها التلاميذ، إن النظر إلى الإجابات على أنها مؤقتة وليست ثابتة، يعطى دورًا عقليًا أمينًا للطالب والمعلم لكى يكون ناقدًا، حيث يستمر البحث للوصول إلى إجابات جديدة - مؤقتة - أفضل مما سبقها بالنسبة للمشكلات المهمة الحقيقية التى تواجه مجتمعنا.

إنه من الممكن أن هذا الاتجاه الناقد المؤقت نحو المعرفة، الذى يميز الباحث الحقيقى، هو فى ذاته أكثر الدروس المهمة التى نتعلمها من تعلم الاجتماعيات،

ويتعذر هذا الدرس إلا إذا أظهر المدرسون أيضًا نفس النوع من الأمانة العقلية والروح الفلسفية للاستقصاء التى يتولد عنها العلم.

إن المدرس الذى يعتقد أن مهاراته تتمثل فى معرفة للإجابات، أو يصر على مجموعات من الإجابات الثابتة، أو على الكتاب المقرر باعتباره مصدر المعلومات الوحيد، دون أن يحول للطالب بعض الإحساس بالمشكلات البحثية المتضمنة، سيكون رافدًا مشكوكًا فيه لتعليم الاجتماعيات فى المرحلة القادمة، وفى الوقت الذى نهمل فيه المدخل العلمى للمعرفة، فإن تعليم الاجتماعيات يكون قد ضل طريقه إذا كانت محصلة إجابات جاهزة يتذكرها التلميذ للحصول على درجات عالية فى اختبارات تقيس التذكر.

تنظيم التدريس حول اتخاذ القرار

إن تغذية الاتجاه الناقد نحو المعرفة يتطلب أكثر من الرغبة فى التميز العلمى والبحثى، إنه يتطلب تنظيم التدريس الذى يشجع ممارسة التفكير الناقد، ويوجد التفكير الناقد فقط عندما يتوفر الاختيار بين البدائل، ومثل هذا الاختيار يتضمن بعض العلاقات المنطقية بين تعميم يؤكد اعتقادًا فى مادة ما من ناحية، ومن ناحية أخرى الحقائق ذات الصلة، إما تلك المعروفة فعلاً، أو تلك الضرورية لإثبات ذلك التعميم، وبدون هذه العملية للتعميم وتثبيت التعميمات فوق حقائق، فإن التفكير الناقد يكون مستحيلاً فى الاجتماعيات، ويصبح من العبث الادعاء بأن الاجتماعيات لها علاقة بالتفكير، أو تنمية الطاقة على التفكير الناقد، وحتى لا يكون محتوى الاجتماعيات مجرد كتلة من الحقائق ضعيفة الصلة ببعضها، مخصصة للتذكر، يجب تنظيم تدريس الاجتماعيات بشكل فعال.

ولهذا يجب البحث عن طرق لوضع الكم الكبير من الحقائق تحت عدد أقل من التعميمات التى باستخدامها كافتراضات ستوجه وتضع حدودًا للدراسة يمكن بلوغها، ولما كانت مثل هذه الافتراضات تميل غالبًا أن تتجاوز حدود المادة الدراسية، فإن العلاقات المتداخلة بين المجالات المتخصصة فى المعرفة، ستصبح أكثر وضوحًا.

وأكثر من هذا، فلما كان تطبيق المعرفة فى مواقف وظروف جديدة يحدث من خلال الأفكار المجردة أو التعميمات، فإن ذلك يدعم انتقال أثر التدريب.

إن إعادة تنظيم المواد كما أشرنا هو ما يمثل ثورة فى تدريس العلوم. حيث يقلل عدد الحقائق المنعزلة التى يطلب تذكرها، والتركيز على مبادئ موجهة قليلة، يتمكن منها الطلبة تجميع الحقائق المدعمة، كما يفعل الباحثون العلماء. وبهذا المدخل أصبحت دراسة العلوم ميسورة وفعالة. لكن كيف يمكن تحقيق هذا التنظيم فى الاجتماعيات؟ ولو أن المشكلة تختلف من بعض النواحى، فإننا نستطيع أن نرى المؤشر فى تدريس العلوم والرياضيات، وبصفة عامة سنترك الجهد لتنظيم المواد الدراسية لمجرد نقل المعلومات إلى الذاكرة، بدلا من ذلك، سينشغل الطلبة فى البحث والاستقصاء فى الأساس النظرى، والحقائق التى يقوم عليها، للتأكيدات المهمة والعبارات التقريرية التى تعبر عن معتقد فى أمر ما، هذه التأكيدات قد يذكرها مؤلفو الكتب المدرسية، والمعلمون، وآخرون أو الطلبة أنفسهم، وقد يتصل الأمر بالحقائق ذاتها أو تفسيرها، أو أمور ترجع للقيم، وفى إيجاز، سينشغل الطلبة والمعلمون فى الاستقصاء فى نفس أنواع المشكلات التى يهتم بها العلماء والباحثون.

وسوف يكتشف أن تركيز التدريس على الاستقصاء الناقد فى المعتقدات المؤكدة، سيزيد تدريجيًا طاقة الطلبة على هضم الكميات الكبيرة من الحقائق، وعلى المدى الطويل سيوفر الوقت الذى يضيع فى تذكر الحقائق المنعزلة غير المرتبطة بالمعتقدات المؤكدة المهمة.

وسوف نجد هذا المدخل قابلاً للتطبيق فى كل الصفوف، وفى كل المواد الدراسية. إن الطلبة الذين يخضعون طويلاً لتذكر المادة المدرسية سوف يضعف لديهم حب الاستطلاع الأمين الصحيح.

وهناك إستراتيجيتان عقليتان وثيقتا الصلة ببعضهما البعض:

الأولى: التدريس الذى يؤكد اتخاذ الأساس من التعميمات المهمة، ويشجع الطلبة على تحليل وتقويم مختلف أنواع التأكيد الموجودة فى مادة الاجتماعيات.

وكل نوع من التأكيد يمكن أن يختبر على أساس الحقائق، لكن الاستراتيجية مختلفة بعض الشيء فى كل حالة، ومشكلات التعريف يمكن تناولها بفحص المعنى الذى يربطه مختلف الناس بالكلمات التى تستخدم كمسميات، ومن الواضح أن مثل هذه المشكلات ليست سهلة الحل، ولا يستطيع التعريف فى قاموس بسيط توضيح المعانى الممكنة لمفاهيم مهمة مثل الديمقراطية، والامبريالية، والرأسمالية، والعدالة.. إلخ.

إنها ليست مشكلة سهلة، تقرير العلاقة بين الديمقراطية والمساواة مثلاً، كما نواجهها فى مشكلة «التكامل»، ومشكلات التعريف هذه تتضمن تصوراً، إلى جانب معرفة دقيقة. وبصفة عامة، فإن الوقت قليل جداً الذى يصرف فى تعليم الاجتماعيات لتوضيح معنى الكلمات الكاشفة المستخدمة، حتى يصبح المعنى واضحًا، ولو أن وضوح المعنى لا يتضمن ضرورة الاتفاق على المعنى مثل فهم أساس التفسيرات المختلفة للمعنى.

ومن ناحية أخرى فإن حل مشكلات الحقيقة بالحصول على الحقائق، ليس دائمًا أمراً سهلاً؛ لأن الحقيقة ليست بالضرورة ما يراه أحد أنها كذلك، ومشكلات الشرح تتطلب فحصًا نظريًاومنطقيًا ومشكلات القيم ليست خاضعة تمامًا للاستقصاء المبنى على الحقائق، لكن القيم يمكن تنظيمها آليًا فى تتابع (السلم القيمى) وتخضع بعد ذلك للدراسة المبنية على الحقائق.

إن بناء التدريس وفق الخطوط العريضة السابق الإشارة إليها، سيقدم منفذاً للسيطرة على محتوى الاجتماعيات سريع التغير والتقدم والكثافة، إن ذلك سيوفر ليس فقط باستمرار معرفة دقيقة ولكنها أيضًا تعطى الطلبة الأدوات العقلية التى يحتاجون إليها للغوص فى كم المعلومات التى تنميها الأيام والبحوث.

والاستراتيجية الثانية تستند إلى تحديد عدد قليل نسبيًا من الأفكار الرئيسة، مرتبطًا بها المواد المبنية على الحقائق المتصلة بها، فى إنجاز التوضيح للتدريس الذى يتبع فى كل مادة دراسية وفى كل صف دراسى. فكل مدرس فى كل مادة علمية عليه أن

يسأل نفسه كيف تساعد مادتى على توضيح كل من الأفكار المهمة التى تظلل وتسرى فى كل العلوم الاجتماعية؟

وفوق هذا، فإنه لأن المشكلات الاجتماعية الملحة فى المجتمع تميل إلى الالتفاف حول نفس الأفكار، فإن رصيداً من المعرفة المختبرة سيبنى باستمرار حول كل من المشكلات الرئيسة فى المجتمع. وفيما يلى أمثلة مقترحة للأفكار الأساسية التى يمكن استخدامها فى بناء وتعليم الاجتماعيات:

١) مفهوم الثقافة بما فى ذلك الطرق التى تحفظ بها الثقافة أو تتغير.

٢) مفهوم الإنسان فى تفاعله الثقافى مع قوى الطبيعة متضمنًا: اعتماد الإنسان على الطبيعة، وسيطرته المتزايدة عليها.

٣) مفهوم الجماعة الاجتماعية متضمنًا علاقة الجماعة بنمو الفرد.

٤) مفهوم التنظيم الاقتصادى: الأهداف الإنسانية ونمو التكنولوجيا وتقسيم العمل، والإنتاج المؤسسى، والنمو من خلال التخطيط الاقتصادى، وإدخار رأس المال، والاستثمار.

٥) مفهوم التنظيم السياسى، متضمنًا طبيعة المسئوليات والحقوق السياسية ووسائل الانضباط السياسى.

٦) مفهوم الحرية، وعلاقته بالأمن الشخصى، والانضباط الاجتماعى.

٧) مفهوم نمو الاعتماد المتبادل بين الأفراد والجماعات.

٨) مفهوم العلم والمدخل العلمى للمعرفة.

والمشكلات الملحة التى ترتبط بهذه الأفكار الرئيسة تتضمن:

١ - كيف نحافظ على ما هو جيد فى مجتمعنا، وفى الوقت ذاته تهيئ فرص التقدير والتغير والتحسين لظروف الحياة.

٢- كيف نستخدم مصادرنا الطبيعية إلى أبعد حد لتحسين ظروف الحياة والمحافظة على مصادرنا لصالح الأجيال القادمة.

٣- كيف نعيش في تناغم داخل الجماعات، وفي الوقت ذاته نتخلص من التحيز الآلي، والرأي المنحاز، والقيود التي تفرضها الجماعات على الأفراد، وكيف نحل الصراع بين الجماعات ذات الخلفيات والاهتمامات ووجهات النظر المختلفة.

٤- كيف ننظم أنفسنا بصورة أفضل للإنتاج الوافر، والاستمتاع بالبضائع الاقتصادية.

٥- ما المؤسسات السياسية التي تضمن صيانة الحقوق، وأن تكون الحكومة مسئولة أمام الناس.

٦- كيف نوفق بين حرية الفرد والضبط الاجتماعي، وخاصة في فترة الاعتماد المتبادل.

٧- كيف نستخدم العلوم في أحسن صورة كأداة للتحسين الاجتماعي.

٨- ما الدور الصحيح للدين، والفلسفة، والجماليات في تنظيم الحياة الإنسانية.

ومدخل اتخاذ القرار يخفف من عبء السيطرة على المعرفة بطريقتين:

١- يقلل من الحاجة إلى المبالغة في تدريس الحقائق.

٢- إن الحقائق اللازمة لاتخاذ قرار حكيم يتم تعلمها بسهولة أكبر، وتنسى بسرعة أقل.

إن الإجراءات المعتادة في التدريس لكثير من الحقائق أكثر مما يحتاج إليه في وقت بعينه، على أمل أنه بعد النسيان الذي يحدث سريعًا - سيبقى رصيد من الحقائق الأساسية محتفظًا به في الذاكرة، ولأول وهلة هذه عملية مضيعة للوقت للغاية، فهذه الحقائق الكثيرة المتعلمة، لو تم تذكرها، فهي لن تستخدم أبدًا. ومن ناحية أخرى، فإن

مواجهة أية مشكلة ستظهر الحاجة إلى حقائق إضافية كثيرة لحل هذه المشكلة مما يشير إلى أن القدرة على الحصول على الحقائق ذات الصلة بالمشكلة أكثر أهمية بكثير من مجرد حفظ مجموعة متنوعة من المعلومات فى الذاكرة.

فوق ذلك، فإن تذكر الحقائق ليس أمر صعبًا، لو أن الحقائق تم تعلمها فى سياق التدليل على حقيقة أكثر عمومية، أو منظومة من الحقائق تنتهى إلى التعميم أو المعتقد. حقًا إن المعلومات التى نتعلمها فى سياق مشكلة ذات صلة بها، فإن العلاقات الواضحة بينها تجعل من الصعب نسيانها، حتى ولو كان تعلمها قد تم لأول مرة.

وبعيدًا عن هذه الاعتبارات الواضحة، فإن البحوث فى التعلم تحملنا على الاعتقاد أن كفاية أعظم فى التعلم تحدث عندما يشعر الطالب بالتحدى فى بداية دورة التعلم، ومبكرًا فى كل مرحلة تعليمية، مع ضرورة الخروج باستنتاجات، أى التعميم من الحقائق المتاحة قبل اكتسابه كل أو معظم الحقائق الضرورية للكشف عن صدق استنتاجاته.

إن تطبيق هذا الاقتراح على تعليم الاجتماعيات هو تغيير ثورى، إن الجهد السائد فى الاجتماعيات فى الحاضر هو من أجل اكتساب المعلومات، فى الصفوف الدراسية الأولى، ويفترض أنها يجب أن تبنى أساسًا للمعلومات أولاً قبل أن يبدأ التفكير الناقد، ولهذا لا تلتفت إلى الجوانب التأملية والتقويمية للتعلم، وحتى يحدث هذا النوع من التعلم، يحتاج الأطفال إلى الشعور بالتحدى مبكرًا للتأمل، وعمل تخمينات محسوبة عن معنى المعلومات، ووضع الافتراضات، ومراجعة هذه الاستنتاجات المؤقتة فى ضوء معلومات أخرى ذات صلة، إنه غالبًا ما يكتسب الجزء الأكبر من الحقائق من خلال عملية اختبار الافتراضات، وفى الصفوف الدراسية الأعلى، الممارس حاليًا فى بعض الدول المتقدمة تربويًا - إدخال شىء مما يطلق عليه التفكير الناقد فى تعلم الاجتماعيات، بل قد تخصص بعض المقررات لدراسة

المشكلات، كما لو أنه لا توجد مشكلات فى محتوى الاجتماعيات، ولكننا عادة نجد أن الخلفية فى المعلومات الجاهزة التى سبق اكتسابها فى الصفوف الأولى كانت خاطئة وغير مرتبطة بالحياة.

ومع التنوع الواسع فى هذا الإجراء، فإن البحوث الحديثة فى التعلم تقترح أن يشجع المتعلم على أن يفكر ويتأمل فى معنى الأحداث مبكرًا فى كل فترة تعليمية قبل أن يرسخ فى ذاكرته قدر كبير من المعلومات، وأن يشجع المتعلمون على صياغة التعميمات التى تقترحها الحقائق، أو وضع الافتراضات لأسباب أحداث معينة، وعلى بناء معتقدات مؤقتة، فهذه الطرق تساعد الطلبة على اختبار أفكارهم مقارنة بمعلومات أخرى متاحة، أو جمع مادة يحتاجون إليها لتدعيم معتقد مفترضا.

مثل هذا الإجراء سيقلل إلى درجة كبيرة المواد التى تدرس، لكن نتوقع أن كفاية التعلم ستزداد، ومعدل النسيان سيقل، والفهم الحقيقى سيحل محل مجرد تذكر حقائق غير مفهومة تمامًا، ونعتقد أيضًا أن الطاقة للتعلم المهم ستزداد تدريجيًا من صف دراسى إلى آخر فى أثناء الحياة. إن تحقيق الثورة الحقيقية فى تعلم الاجتماعيات يحتاج إلى إيمان معلميها برسالتهم، كما يحتاج إلى تطوير جذرى فى إجراءات التقويم التى تركز على حفظ المعلومات مع إهمال جوانب التفكير والتأمل فى التعلم، كذلك يتطلب تحديث إعداد المعلمين مهنيًا.